المدائني

فتوح السند

علي بن محمد بن عبدالله بن أبي سيف [المدائني] قال: لما ولى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعمان سنة ١٥هـ فوجه أخاه الحكم إلى البحرين ومضى إلى عمان فأقطع جيشاً إلى تانه فلما رجع الجيش كتب إلى عمر يعلمه ذلك. فكتب إليه عمر: يا أخا ثقيف حملت دوداً على عود وإني أحلف بالله أن لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم. ووجه الحكم أيضاً إلى بَرْوَص ووجه أخاه المغيرة بن أبي العاصي إلى خور الديبل فلقي العدو فظفر. فلما ولي عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وولى عبدالله بن عامر بن كريز العراق كتب إليه يأمره أن يوجه إلى ثغر الهند من يعلم علمه وينصرف إليه بخبره، فوجه حكم بن جبلة العبدي. فلما رجع أوفده إلى عثمان فسأله عن حال البلاد فقال: يا أمير المؤمنين، قد عرفتها وتنحرتها، قال: فصفها لي، قال: ماؤها وشل، وثمرها دقل، ولصها بطل، إن قل الجيش فيها ضاعوا وإن كثروا جاعوا، فقال له عثمان: أخابره أم ساجع؟ قال: بل خابر، فلم يُغزها أحداً.

فلما كان آخر سنة ٣٨ وأول سنة ٣٩ في خلافة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) توجه إلى ذلك الثغر الحارث بن مرة العبدي متطوعاً بإذن علي فظفر وأصاب مغنماً وسبياً وقسم في يوم واحد ألف رأس، ثم إنه قُتل ومن معه بأرض القيقان إلا قليلاً وكان مقتله في سنة ٤٢ . والقيقان من بلاد السند مما يلي

خراسان. ثم غزا ذلك الثغر المهلب بن أبي صفرة في أيام معاوية سنة ٤٤هـ فأتى بنّة والأهوار، وهما بين الملتان وكابل، فلقيه العدو فقاتله ومن معه، ولقي المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارساً من الترك على خيل محذوفة فقاتلوه فقتلوا جميعاً، فقال المهلب: ما جعل هؤلاء الأعاجم أولى بالتشمير منا؟ فحذف الخيل فكان أول من حذفها من المسلمين. وفي بنة يقول الأزدي:

ألم تر أن الأزد ليلة بيتوا ببنة كانوا غير جيش المهلب

ثم ولى عبدالله بن عامر في زمن معاوية بن أبي سفيان عبدالله بن سوار العبدي، ويقال ولاه معاوية من قبله ثغر الهند، فغزا القيقان فأصاب مغنماً ثم وفد إلى معاوية وأهدى إليه خيلاً قيقانية وأقام عنده ثم رجع إلى القيقان فاستجاشوا الترك فقتلوه، وفيه يقول الشاعر:

وابن سوار على عِدّاته موقد النار وقتال السغب

وكان سخياً لم يوقد أحد ناراً غيره في عسكر، فرأى ذات ليلة ناراً فقال: ما هذه؟ فقالوا امرأة نفساء يعمل لها خبيص، فأمر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثاً. وولى يزيد بن أبي سفيان في أيام معاوية سنان بن مسلمة بن المحبق الهذلي وكان فاضلاً متألها، وهو أول من أحلف الجند بالطلاق، فأتى الثغر ففتح مكران عنوة ومقرها وأقام بها وضبط البلاد، وفيه يقول الشاعر:

رأيت هذيلاً أحدثت في يمينها طلاق نساء ما يسوق لها مهراً

لهان علي حلفة ابن محبق إذا رفعت أعناقها حُلقاً صفراً

(البلاذري - فتوح البلدان ص ٤٣١-٤٣٣)

فتوح خراسان

ذكر علي بن محمد [المدائني] [أن مسلمة بن محارب أخبره عن السكن بن قتادة العُريني قال :] فتح ابن عامر فارس ورجع إلى البصرة واستعمل على اصطخر شريك بن الأعور الحارثي فبنى شريك مسجد اصطخر فدخل على بن عامر رجل من تميم، قال كنا نقول إنه الأحنف ويقال أوس بن جابر الجشمي جُشم تميم فقال له : إن عدوك منك هارب وهو لك هائب والبلاد واسعة فسر فإن الله ناصرك ومعز دينه . فتجهز ابن عامر وأمر الناس بالجهاز للمسير واستخلف على البصرة زياداً وسار إلى كرمان ثم أخذ إلى خراسان، فقوم يقولون أخذ طريق أصبهان ثم سار إلى خراسان .

قال علي : [حدثنا المفضل الكرماني عن أبيه قال :] كان أشياخ كرمان يذكرون أن ابن عامر نزل العسكر بالسيرجان ثم سار إلى خراسان واستعمل على كرمان مجاشع بن مسعود السلمي وأخذ ابن عامر على مفازة رابر (لعله : راور)وهي ثمانون فرسخاً ثم سار الطبسين يريد أبر شهر وهي مدينة نيسابور وعلى مقدمته الأحنف بن قيس فأخذ إلى قُهستان وخرج إلى أبرشهر فلقيه الهياطلة وهم أهل هراة فقاتلهم الأحنف فهزمهم ثم أتى ابن عامر نيسابور .

قال علي : [وأخبرنا أبو مخنف عن نمير بن وعلة عن الشعبي قال :] أخذ ابن عامر على مفازة خبيص ثم على خُواست، ويقال على يزد ثم على قهستان فقدم الأحنف فلقيه الهياطلة فقاتلهم فهزمهم، ثم أتى أبر شهر فنزلها ابن عامر، وكان سعيد بن العاص في جند أهل الكوفة فأتى جرجان وهو يريد خراسان فلما بلغه نزول ابن عامر أبر شهر رجع إلى الكوفة . قال علي : [حدثنا علي بن

مجاهد قال :] نزل ابن عامر على أبر شهر فغلب على نصفها عُنوة وكان النصف الآخر في يد كناري ونصف نسا وطوس فلم يقدر ابن عامر أن يجوز إلى مرو فصالح كناري فأعطاه ابنه أبا الصلت بن كناري وابن أخيه سليماً رهناً ووجه عبدالله بن خازم إلى هراة وحاتم بن النعمان إلى مرو، فأخذ ابن عامر ابني كناري فصارا إلى النعمان بن الأفقم النصري فأعتقهما.

قال علي : [وأخبرنا أبو حفص الأزدي عن إدريس بن حنظلة العمي، قال :] فتح ابن عامر مدينة أبرشهر عنوة وفتح ما حولها طوس وبيورد ونسا وحمران وذلك سنة ٣١هـ.

قال علي : [حدثنا أبو السري المروري عن أبيه قال :] سمعت موسى بن عبدالله بن عامر من أبرشهر، وصالح ابن عامر أهل أبرشهر صلحاً فأعطوه جاريتين من آل كسرى بابونج وطميهج أو طمهيج، فأقبل بهما معه وبعث أمية ابن أحمر اليشكري ففتح ما حول أبرشهر وطوس وبيورد ونسا وحمران حتى انتهى إلى سرخس.

قال علي : [وأخبرنا أبو الذيال زهير بن هنيد العبيدي العدوي عن أشياخ من أهل خراسان] أن ابن عامر سرح الأسود بن كلثوم العدوي الرباب إلى بيهق وهي من أبرشهر بينها وبين مدينة أبرشهر ستة عشر فرسخاً وقتل الأسود بن الكلثوم. قال وكان فاضلاً في دينه كان من أصحاب عامر بن عبدالله العنبري، وكان عامر يقول بعد ما زخرج من البصرة ما آسى من العراق على شيء إلا على ظلماء الهواجر وتجاوب المؤذنين وأخوان مثل الأسود بن كلثوم. قال علي : وأخبرنا زهير بن هنيد عن بعض عمومته، قال غلب ابن عامر على نيسابور،

وخرج إلى سرخس فأرسل أهل عمرو يطلبون الصلح فبعث إليهم ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي فصالح ابراز مرزبان مرو على ألفي ومائتي ألف .

(الطبري ج ١ ص٢٨٨٤)

قتيبة بن مسلم الباهلي

ذكر علي بن محمد : [أن كليب بن خلف أخبره عن طفيل بن مرداس العمي والحسن بن رشيد عن سليمان بن كثير العمي قال أخبرني عمي قال :] رأيت قتيبة بن مسلم حين قدم خراسان في سنة ٨٦هـ فقدم والمفضل يعرض الجند وهو يريد أن يغزو أخرون وشومان فخطب الناس قتيبة وحثهم على الجهاد وقال : إن الله أحلكم هذا المحل ليعز دينه ويذب بكم عن الحرمات ويزيد بكم المال استفاضة والعدو وقماً، ووعد نبيه ﷺ النصر بحديث صادق وكتاب ناطق فقال : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾، ووعد المجاهدين في سبيله أحسن الثواب وأعظم الذخر عنده فقال : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾، ثم أخبر عمن قُتل في سبيله أنه حي مرزوق فقال : ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ . فتنجزوا موعود ربكم ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر وأمضى ألم وإياي والهوينا .

ثم عرض قتيبة الجند في السلاح والكراع وسار واستخلف بمرو على حربها إياس بن عبدالله بن عمرو ، وعلى الخراج عثمان بن السعدي ، فلما كان بالطالقان تلقاه دهاقين بلخ وبعض عظمائهم فساروا معه فلما قطع النهر تلقاه

بيش الأعور ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من ذهب فدعاه إلى بلاده فأتاه وأتى ملك كفتان بهدايا وأموال ودعاه إلى بلاده، فمضى مع بيش إلى الصغانيان فسلم إليه بلاده وكان ملك أخرون وشومان قد أساء جوار بيش و غزاه وضيق عليه فسار قتيبة إلى أخرون وشومان وهما من طخارستان فجاءه غيسلثتان فصالحه على فدية أراها إليه فقبلها قتيبة ورضي . ثم انصرف إلى مرو واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم وتقدم جنده فسبقهم إلى مرو، وفتح صالح بعد رجوع قتيبة باسار الحصن؟ وكان معه نصر بن سيار فأبلى يومئذ فوهب له قرية تدعى تنجانة ثم قدم صالح على قتيبة فاستعمله على الترمذ .

(الطبري ج ٢ ، ص ١١٧٨-١١٨٠)

ذكر علي بن محمد [أن أبا الحسن الجشمي أخبره عن أشياخ من أهل خراسان وجبلة بن فروخ عن محمد بن المثنى] أن نيزك طرخان كان في يديه أسراء من المسلمين . وكتب إليه قتيبة حين صالح ملك شومان فيمن في يديه من أسرى المسلمين أن يطلقهم ويهدده في كتابه فخاف نيزك فأطلق الأسرى وبعث بهم إلى قتيبة فوجه إليه قتيبة سُليماً الناصح مولى عبيدالله بن أبي بكرة يدعوه إلى الصلح وإلى أن يؤمنه وكتب إليه كتاباً يحلف فيه بالله لئن لم يقدم عليه لينغزونه ثم ليطلبنه حيث كان لا يقلع عنه حتى يظفر به أو يموت قبل ذلك، فقدم سليم على نيزك بكتاب قتيبة وكان يستنصحه فقال له يا سليم ما أظن عند صاحبك خيراً كتب إلي كتاباً لا يكتب إلى مثلي، قال له سليم يا أبا الهياج إن هذا الرجل شديد في سلطانه سهل إذا سوهل صعب إذا عوسر فلا يمنعك منه غلظة كتابه إليك فما أحسن حالك عنده وعند جميع مضر . فقدم نيزك مع سليم على قتيبة فصالحه أهل باذغيس في سنة ٨٧هـ على أن لا يدخل باذغيس .

(الطبري ج ٢ ص ١١٨٤-٥)

ذكر علي بن محمد: [أن أبا الذيال أخبره عن المهلب بن إياس عن أبيه عن حسين بن مجاهد الرازي وهارون بن عيسى عن يونس بن أبي إسحاق وغيرهم] أن قتيبة لما صالح نيزك وأقام إلى وقت الغزو ثم غزا في تلك السنة سنة ٨٧ بيكند فسار من مرو وأتى مرو روذ ثم أتى آمل ثم مضى إلى زم فقطع النهر وسار إلى بيكند وهي أدنى مدائن بخارى إلى النهر، يقال لها مدينة التجار على رأس المفازة من بخارى. فلما نزل بعقوتهم استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم فأتوهم في جمع كثير وأخذوا بالطريق فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل إليه رسول ولم يجر له خبر شهرين وأبطأ خبره على الحجاج فأشفق الحجاج على الجند فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد وكتب بذلك إلى الأمصار وهم يقتتلون في كل يوم. قال: وكان لقتيبة عين يقال له تنذر من العجم، فأعطاه أهل بخارى الأعلى مالاً على أن يفشأ عنهم قتيبة، فأتاه فقال أخلني فنهض الناس واحتبس قتيبة ضرار بن حصين الضبي فقال تنذر: هذا عامل يقدم عليك وقد عزل الحجاج فلو انصرفت بالناس إلى مرو فدعا قتيبة سياه مولاه فقال اضرب عنق تنذر فقتله، ثم قال لضرار: لم يبق أحد يعلم هذا الخبر غيري وغيرك وإني أعطي الله عهداً إن ظهر هذا الحديث من أحد حتى تنقضي حربنا هذه لألحقناك به فاملك لسانك فإن انتشار هذا الحديث يفتّ في أعضاد الناس، ثم أذن للناس. قال: فدخلوا فراعهم قتل تنذر فوجموا وأطرقوا فقال قتيبة: ما يروعكم من قتل عبد أهانة الله؟ قالوا: إنا كنا نظنه ناصحاً للمسلمين، قال: بل كان غاشاً فأهانه الله بذنبه فقد مضى لسبيله فاغدوا على قتال عدوكم والقوهم بغير ما كنتم تلقونهم به. فغدا الناس متأهبين وأخذوا مصافهم ومشى قتيبة

فحض أهل الرايات فكانت بين الناس مشاولة، ثم تزاحفوا والتقوا وأخذت السيوف مأخذها وأنزل الله على المسلمين الصبر فقاتلوهم حتى زالت الشمس. ثم منح الله المسلمين أكتافهم فانهزموا يريدون المدينة واتبعهم المسلمون فشغلوهم عن الدخول فتفرقوا، وركبهم المسلمون قتلاً وأسراً كيف شاؤوا واعتصم من دخل المدينة بالمدينة وهم قليل، فوضع قتيبة الفعلة في أصلها ليهدمها فسألوه الصلح فصالحهم واستعمل عليهم رجلاً من بني قتيبة. وارتحل عنهم يريد الرجوع فلما سار مرحلة أو اثنتين وكان منهم على خمس فراسخ نقضوا وكفروا فقتلوا العامل وأصحابه وجدعوا أُنُفهم وآذانهم، وبلغ قتيبة فرجع إليهم وقد تحصنوا فقاتلهم شهراً ثم وضع الفعلة في أصل المدينة فعلقوها بالخشب وهو يريد إذا فرغ من تعليقها أن يحرق الخشب فتنهدم، فسقط الحائط وهم يعلقونه فقتل أربعين من الفعلة فطلبوا الصلح فأبى وقاتلهم فظفر بها عنوة فقتل من كان فيها من المقاتلة. وكان فيمن أخذوا في المدينة رجل أعور كان هو الذي استجاش الترك على المسلمين فقال لقتيبة: أنا أفدي نفسي، فقال له سليم الناصح: ما تبذل؟ قال خمسة ألاف حريرة صينية قيمتها ألف ألف، فقال قتيبة: ما ترون؟ قالوا: نرى إن فداه زيادة في غنائم المسلمين وما عسى أن يبلغ من كيده هذا؟ قال: لا والله لا تروع بك مسلمة أبداً وأمر به فقتل.

قال علي: [قال أبو الذيال عن المهلب بن إياس عن أبيه والحسن بن رشيد عن طفيل بن مرداس] إن قتيبة لما فتح بيكند أصابوا فيها من آنية الذهب والفضة ما لا يحصى فولى الغنائم والقسم عبدالله بن وألان العدوي أحد بني ملكان وكان قتيبة يسميه الأمين بن الأمين وإياس بن بيهيس الباهلي فأذابا الآنية والأصنام فرفعاه إلى قتيبة ورفعا إليه خبث ما أذابا فوهبه لهما فأعطيا به أربعين ألفاً

فأعلماه فرجع فيه وأمرهما أن يذيباه فأذاباه فخرج منه خمسون ومائة ألف مثقال أو خمسون ألف مثقال. وأصابوا في بيكند شيئاً كثيراً وصار في أيدي المسلمين من بيكند شيء لم يصيبوا مثله بخراسان. ورجع قتيبة إلى مرو وقوى المسلمون فاشتروا السلاح والخيل وجلبت إليهم الدواب وتنافسوا في حسن الهيئة والعُدة وغالوا بالسلاح حتى بلغ الرمح سبعين. وقال الكميت:

ويوم بيكند لا تحصى عجائبه وما بخاراء مما أخطأ العدد

وكان في الخزائن سلاح وآلة من آلة الحرب كثيرة فكتب قتيبة إلى الحجاج يستأذنه في دفع ذلك السلاح إلى الجند فأذن له فأخرجوا ما كان في الخزائن من عدة الحرب وآلة السفر فقسمه في الناس فاستعدوا. فلما كان أيام الربيع ندب الناس وقال: إني أغزيكم قبل أن تحتاجوا إلى حمل الزاد وأنتقلكم قبل أن تحتاجوا إلى الأدفاء. فسار في عدة حسنة من الدواب والسلاح فأتى آمل ثم عبر من زم إلى بخارى فأتى نومشكث وهي من بخارى فصالحوه.

(الطبري ج ٢ ص ١١٨٥-١١٨٩)

الوليد بن عبدالملك

حدثني علي [بن محمد المدائني] قال: كان الوليد بن عبدالملك عند أهل الشام أفضل خلائفهم، بنى المساجد مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنار وأعطى الناس وأعطى المجذمين، وقال: لا تسألوا الناس وأعطى كلَّ مُقعد خادماً وكل ضرير قائداً، وفتح في ولايته فتوح عظام فتح موسى بن نصير الأندلس، وفتح قتيبة كاشغر وفتح محمد بن القاسم الهند. قال: وكان الوليد

يمر بالبقال فيقف عليه فيأخذ حزمة البقل فيقول: بكم هذه فيقول بفلس فيقول زد فيها. قال: وأتاه رجل من بني مخزوم يسأله في دينه، فقال: نعم إن كنت مستحقاً لذلك قال: يا أمير المؤمنين وكيف لا أكون مستحقاً لذلك مع قرابتي، قال: أقرأت القرآن؟ قال: لا، قال: ادنُ مني، فدنا منه فنزع عمامته بقضيب كان في يده وقرعه قرعات بالقضيب وقال لرجل ضم إليك هذا فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن. فقام إليه عثمان بن يزيد بن خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد فقال: يا أمير المؤمنين إن علي ديناً، قال: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، فاستقرأه عشر آيات من الأنفال وعشر آيات من براءة فقرأ، فقال: نعم نقضي عنكم ونصل أرحامكم على هذا. قال: ومرض الوليد فرهقته غشية فمكث عامة يومه عندهم ميتاً فبكي عليه وخرجت البُرد بموته، فقدم رسول على الحجاج فاسترجع ثم أمر بحبل فشد في يده ثم أوثق إلى أسطوانة وقال: اللهم لا تسلط علي من لا رحمة له فقد طال ما سألتك أن تجعل منيتي قبل منيته وجعل يدعو، فإنه لكذلك إذ قدم عليه بريد بإفاقته. قال علي: ولما أفاق الوليد قال ما أحد أسر بعافية أمير المؤمنين من الحجاج، فقال عمر بن عبدالعزيز: ما أعظم نعمة الله علينا بعافيتك وكأني بكتاب الحجاج قد أتاك يذكر فيه أنه لما بلغه برؤك خر لله ساجداً وأعتق كل مملوك له وبعث بقوارير من أنبج الهند، فما لبث إلا أياماً حتى جاء الكتاب بما قال. قال ثم لم يمت الحجاج حتى ثقل على الوليد، فقال خادم للوليد: إني لأوضئ الوليد يوماً للغداء فمد يده فجعلت أصب عليه الماء وهو ساه والماء يسيل ولا أستطيع أن أتكلم ثم نفح الماء في وجهي وقال أناعس أنت ورفع رأسه إلي وقال: ما تدري ما جاء الليلة، قلت لا، قال: ويحك مات

الحجاج، فاسترجعت قال: اسكت ما يسر مولاك أن في يده تفاحة يشمها.

قال علي: وكان الوليد صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع وكان الناس يلتقون في زمانه فإنما يسأل بعضهم بعضاً عن البناء والمصانع، فولي سليمان فكان صاحب نكاح وطعام فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن التزويج والجواري، فلما ولي عمر بن عبدالعزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل: ما وردك الليلة وكم تحفظ من القرآن ومتى تختم ومتى ختمت وما تصوم من الشهر. ورثى جرير الوليد فقال:

يا عين جودي بدمع هاجه الذكر ... فما لدمعك بعد اليوم مدخر

إن الخليفة قد وارت شمائله ... غبراء ملحدة في جولها زور

أضحى بنوه وقد جلت مصيبتهم ... مثل النجوم هوى من بينها القمر

كانوا جميعاً فلم يدفع منيته ... عبدالعزيز ولا روح ولا عُمر

حدثنا علي [بن محمد المدائني] قال: كان الوليد وسليمان وليي عهد عبدالملك فلما أفضى الأمر إلى الوليد أراد أن يبايع لابنه عبدالعزيز ويخلع سليمان فأبى سليمان، فأراده على أن يجعله له من بعده فأبى فعرض عليه أموالاً كثيرة فأبى فكتب إلى عماله أن يبايعوا لعبدالعزيز ودعا الناس إلى ذلك فلم يجبه أحد إلا الحجاج وقتيبة وخواص من الناس. فقال عباد بن زياد: إن الناس لا يجيبونك إلى هذا ولو أجابوك لم آمنهم على الغدر بابنك فاكتب إلى سليمان فليقدم عليك فإن لك عليه طاعة فأرده على البيعة لعبدالعزيز من بعده فإنه لا يقدر على الامتناع وهو عندك فإن أبى كان الناس عليه. فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم فأبطأ فاعتزم الوليد على المسير إليه وعلى أن يخلعه

فأمر الناس بالتأهب وأمر بحُجره فأخرجت فمرض ومات قبل أن يسير وهو يريد ذلك. . . قال علي :[وأخبرنا أبو عاصم الزيادي عن الهلواث الكلبي قال: كنا بالهند مع محمد بن القاسم فقتل الله داهراً وجاءنا كتاب من الحجاج ان اخلعوا سليمان فلما ولي سليمان جاءنا كتاب سليمان أن ازرعوا واحرثوا فلا شأم لكم، فلم نزل بتلك البلاد حتى قام عمر بن عبدالعزيز فأقفلنا.

قال علي : أراد الوليد أن يبني مسجد دمشق وكانت فيه كنيسة، فقال الوليد لأصحابه: أقسمت عليكم لما أتاني كل رجل منكم بلبنة، فجعل كل رجل يأتيه بلبنة ورجل من أهل العراق يأتيه بلبنتين، فقال له: ممن أنت، قال: من أهل العراق، قال: يا أهل العراق تفرطون في كل شيء حتى في الطاعة. وهدموا الكنيسة وبناها مسجداً. فلما ولي عمر بن عبدالعزيز شكوا ذلك إليه، فقيل: إن كل ما كان خارجاً من المدينة افتتح عنوة، فقال لهم عمر: نرد عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما فإنها فتحت عنوة ونبنيها مسجداً، فلما قال لهم ذلك، قالوا: بل ندع لكم هذا الذي هدمه الوليد ودعوا لنا كنيسة توما، ففعل عمر ذلك.

(الطبري ج ٢ ص ١٢٧١-١٢٧٥)

وقعة الزاب ومصرع مروان

ذكر علي بن محمد: [أن أبا السري وجبلة بن فروخ والحسن بن رشيد وأبا صالح المروزي وغيرهم أخبروه،] أن أبا عون عبدالملك بن يزيد الأزدي وجهه قحطبه إلى شهرزور من نهاوند فقتل عثمان بن سفيان وأقام بناحية الموصل وبلغ مروان أن عثمان قد قُتل فأقبل من حران فنزل منزلاً في طريقه فقال: ما اسم هذا

المنزل؟ قالوا: بلوى، قال بل علوى وبشرى، ثم أتى رأس العين ثم أتى الموصل فنزل على دجلة وحفر خندقاً فسار إليه أبو عون فنزل الزاب فوجه أبو سلمة إلى أبي عون عيينة بن موسى والمنهال بن فتان وإسحاق بن طلحة كل واحد في ثلاثة آلاف . فلما ظهر أبو العباس بعث سلمة بن محمد في ألفين وعبدالله الطائي في ألف وخمسمائة ، وعبدالحميد الطائي في ألفين ومرداس بن فضلة في خمسمائة إلى أبي عون، ثم قال: من يسير إلى مروان من أهل بيتي؟ فقال عبدالله بن علي: أنا، فقال سر على بركة الله، فسار عبدالله بن علي فقدم على أبي عون فتحول له أبو عون عن سرادقه وخلاه وما فيه . وصير عبدالله بن علي على شرطته حياش بن حبيب الطائي وعلى حرسه نصير بن المحتضر ،ووجه أبو العباس موسى بن كعب في ثلاثين رجلاً على البريد إلى عبدالله بن علي . فلما كان لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ١٣٢هـ سأل عبدالله بن علي عن مخاضة فدُل عليها بالزاب، فأمر عُيينة بن موسى فعبر في خمسة آلاف فانتهى إلى عسكر مروان فقاتلهم حتى أمسوا ورُفعت لهم النيران فتحاجزوا ورجع عيينة فعبر المخاضة إلى عسكر عبدالله بن علي، فأصبح مروان فعقد الجسر وسرح ابنه عبدالله يحفر خندقاً أسفل من عسكر عبدالله بن علي . فبعث عبدالله بن علي المخارق بن غفار في أربعة آلاف فأقبل حتى نزل على خمسة أميال من عسكر عبدالله بن علي، فسرح عبدالله بن مروان إليه الوليد بن معاوية فلقي المخارق فانهزم أصحابه وأسروا وقتل منهم يومئذ عدة فبعث بهم إلى عبدالله وبعث بهم عبدالله إلى مروان مع الرؤوس، فقال مروان: أدخلوا علي رجلاً من الأسارى فأتوه بالمخارق وكان مخيفاً فقال: أنت المخارق، فقال: لا أنا عبد من عبيد أهل العسكر . قال: فتعرف المخارق؟ قال: نعم،

قال: فانظر في هذه الرؤوس هل تراه؟ فنظر إلى رأس منها فقال: هو هذا، فخلى سبيله. فقال رجل مع مروان حين نظر إلى المخارق وهو لا يعرفه: لعن الله أبا مسلم حين جاءنا بهؤلاء يقاتلنا بهم.

وبلغ عبدالله بن علي انهزام المخارق فقال له موسى بن كعب: اخرج إلى مروان قبل أن يصل الفل إلى العسكر فيظهر ما لقي المخارق، فدعا عبدالله بن علي محمد بن سول فاستخلفه على العسكر وسار على ميمنته أبو عون. وعلى ميسرة مروان الوليد بن معاوية، ومع مروان ثلاثة آلاف من المحمرة ومعه الدوكانية والصحصحية والراشدية. فقال مروان لما التقى العسكران لعبد العزيز ابن عمر بن عبدالعزيز: إن زالت الشمس اليوم ولم يقاتلونا كنا الذين ندفعها إلى عيسى بن مريم، وإن قاتلونا قبل الزوال فإنا لله وإنا إليه راجعون. وأرسل مروان إلى عبدالله بن علي يسأله الموادعة، فقال عبدالله: كذب ابن زريق لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله. فقال مروان لأهل الشام قفوا لا تبدؤوهم بقتال فجعل ينظر إلى الشمس، فحمل الوليد بن معاوية بن مروان وهو ختن مروان على ابنته فغضب و شتمة، وقاتل ابن معاوية أهل الميمنة فانحاز أبو عون إلى عبدالله بن علي، فقال موسى بن كعب لعبدالله: مُر الناس فلينزلوا فنودي الأرض فنزل الناس فأشرعوا الرماح وجثوا على الركب فقاتلوهم، فجعل أهل الشام يتأخرون كأنهم يدفعون ومشى عبدالله قدماً وهو يقول: يارب حتى متى نقتل فيك، ونادى: يا أهل خراسان يا لثارات إبراهيم يا محمد يا منصور، واشتد بينهم القتال. وقال مروان لقضاعة انزلوا، فقالوا: قل لبني سليم فلينزلوا فأرسل إلى السكاسك أن احملوا، فقالوا: قل لبني عامر فليحملوا، فأرسل إلى السكون أن احملوا، فقالوا: قل لغطفان فليحملوا،

فقال لصاحب شرطه: انزل، قال: لا والله ما كنت لأجعل نفسي غرضاً، قال: أما والله لأسوءنك، قال: وددت والله أنك قدرت على ذلك. ثم انهزم أهل الشام وانهزم مروان وقطع الجسر فكان من غرق يومئذ أكثر ممن قتل. . . وأمر عبدالله بن علي فعقد الجسر على الزاب واستخرجوا الغرقى فكان فيمن أخرجوا إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك، فقال عبدالله بن علي: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾. وأقام عبدالله بن علي في عسكره سبعة أيام فقال رجل من ولد سعيد بن العاص يعير مروان:

لج الفرار بمروان فقلت له	عاد الظلوم ظليماً همه الهرب
أين الفرار وترك الملك إذ ذهبت	عنك الهوينا فلا دين ولا حسب
فراشة الحلم فرعونُ العقاب وإن	تطلب نداء فكلب دونه كلب

وكتب عبدالله بن علي إلى أمير المؤمنين أبي العباس بالفتح وهرب مروان وحوى عسكر مروان بما فيه فوجد فيه سلاحاً كثيراً وأموالاً ولم يجدوا فيه امرأة إلا جارية كانت لعبد الله بن مروان. فلما أتى أبا العباس كتاب عبدالله بن علي صلى ركعتين ثم قال: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾. وأمر لمن شهد الوقعة بخمسمائة خمسمائة ورفع أرزاقهم إلى ثمانين.

علي بن محمد قال: [قال عبدالرحمن بن أمية] كان مروان لما لقيه أهل خراسان لا يدبر شيئاً إلا كان فيه الخلل والفساد. قال: بلغني أنه كان يوم انهزم واقفاً بالناس يقتتلون إذ أمر بأموال فأخرجت فقال للناس: اصبروا وقاتلوا فهذه الأموال لكم فجعل ناس من الناس يصيبون من ذلك المال فأرسلوا إليه أن الناس

obeikandl.com

قد مالوا على هذا المال ولا نأمنهم أن يذهبوا به فأرسل إلى ابنه عبدالله أن سر في أصحابك إلى مؤخر عسكرك فاقتل من أخذ من ذلك المال وامنعهم فمال عبدالله برايته وأصحابه فقال الناس: الهزيمة فانهزموا.

(الطبري ج٣ ص٣٨-٤٢)

فانهزم مروان حتى أتى مدينة الموصل وعليها هشام بن عمرو التغلبي وبشر ابن خزيمة الأسدي وقطعوا الجسر فناداهم أهل الشام هذا مروان، قالوا: كذبتم أمير المؤمنين لا يفر، فسار إلى بلد فعبر دجلة فأتى حران ثم أتى دمشق وخلف بها الوليد بن معاوية وقال قاتلهم حتى يجتمع أهل الشام. ومضى مروان حتى أتى فلسطين فنزل نهر أبي فُطرس وقد غلب على فلسطين الحكم بن ضبعان الجذامي فأرسل مروان إلى عبدالله بن يزيد بن روح بن زنباع فأجازه وكان بيت المال في يد الحكم. وكتب أبو العباس إلى عبدالله بن علي يأمره باتباع مروان فسار عبدالله إلى الموصل فتلقاه هشام بن عمرو التغلبي وبشر بن خزيمة وقد سودا في أهل الموصل ففتحوا له المدينة. ثم سار إلى حران وولى الموصل محمد ابن صول فهدم الدار التي حبس فيها إبراهيم بن محمد. ثم سار من حران إلى منبج وقد سودوا فنزل منبج وولاها أبا حميد المروزي وبعث إليه أهل قنسرين ببيعتهم إياه بما أتاه به عنهم أبو أميه التغلبي، وقدم عليه عبدالصمد بن علي في أربعة آلاف فأقام يومين بعد قدوم عبدالصمد. ثم سار إلى قنسرين فأتاها وقد سود أهلها فأقام ثم سار حتى نزل حمص فأقام بها أياماً وبايع أهلها. ثم سار إلى بعلبك وأقام يومين، ثم ارتحل فنزل مزة، قرية من قرى دمشق، فأقام وقدم عليه صالح بن علي مدداً فنزل مرج عذراء في ثمانية آلاف معه بسام بن إبراهيم وخفاف وشعبة والهيثم بن بسام. ثم سار عبدالله بن علي فنزل على باب شرقي

ونزل صالح بن علي على باب الجابية وأبو عون على باب كيسان وبسام على باب الصغير وحميد بن قحطبة على باب توما وعبدالصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفراديس وفي دمشق الوليد بن معاوية فحصروا أهل دمشق والبلقاء وتعصب الناس بالمدينة فقتل بعضهم بعضاً وقتلوا الوليد ففتحوا الأبواب يوم الأربعاء لعشر مضين من رمضان سنة ١٣٢هـ. فكان أول من صعد سور المدينة من باب الشرقي عبدالله الطائي ومن قبل باب الصغير بسام بن إبراهيم فقتل بها علي ثلاث ساعات. وأقام عبدالله بن علي بدمشق خمسة عشر يوماً، ثم سار يريد فلسطين، فنزل نهر الكسوة فوجه منها يحيى بن جعفر الهاشمي إلى المدينة ثم ارتحل إلى الأردن فأتوه وقد سودوا، ثم نزل بيسان، ثم سار إلى مرج الروم، ثم أتى نهر أبي فُطرس، وقد هرب مروان فأقام بفلسطين. وجاءه كتاب أبي العباس أن وجه صالح بن علي في طلب مروان، فسار صالح بن علي من نهر أبي فطرس في ذي القعدة سنة ١٣٢هـ ومعه ابن فتان وعامر بن إسماعيل، فقدم صالح بن علي أبا عون على مقدمته وعامر بن إسماعيل الحارثي وسار فنزل الرملة، ثم سار فنزلوا ساحل البحر. وجمع صالح بن علي السفن وتجهز يريد مروان وهو بالفرماء فسار على الساحل والسفن حذاءه في البحر حتى نزل العريش، وبلغ مروان فأحرق ما كان حوله من علف وطعام وهرب. ومضى صالح بن علي فنزل النيل، ثم سار حتى نزل الصعيد، وبلغه أن خيلاً لمروان بالساحل يحرقون الأعلاف فوجه إليهم قواداً فأخذوا رجالاً فقدموا بهم على صالح وهو بالفسطاط. فعبر مروان النيل وقطع الجسر وحرق ما حوله ومضى صالح يتبعه فالتقى هو وخيل لمروان على النيل فاقتتلوا فهزمهم صالح، ثم مضى إلى خليج فصادف عليه خيلاً لمروان فأصاب

منهم طرفاً وهزمهم. ثم سار إلى خليج آخر فعبروا ورأوا رهجاً فظنوه مروان فبعث طليعة عليهم الفضل بن دينار ومالك بن قادم فلم يلقوا أحداً ينكرونه فرجعوا إلى صالح فارتحل فنزل موضعاً يقال له ذات الساحل ونزل فقدم أبا عون عامر بن إسماعيل الحارثي ومعه شعبة بن كثير المازني فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم وأسروا منهم رجالاً فقتلوا بعضهم واستحيوا بعضاً، فسألوا عن مروان فأخبروهم بمكانه على أن يؤمنوهم، وساروا فوجدوه نازلاً في كنيسة في بوصير فوافوهم في آخر الليل فهرب الجند وخرج إليهم مروان في نفر يسير فأحاطوا به فقتلوه. قال علي [وأخبرني إسماعيل بن الحسن] عن عامر بن إسماعيل قال: لقينا مروان ببوصير ونحن في جماعة يسيرة فشدوا علينا فانضوينا إلى نخل ولو يعلموا بقلتنا لأهلكونا، فقلت لمن معي من أصحابي فإن أصبحنا فرأوا قلتنا وعددنا لم ينج منا أحد، وذكرت قول بكير بن ماهان «أنت والله تقتل مروان كأني أسمعك تقول دهيد يا جوانكان»، فكسرت سيفي وكسر أصحابي جفون سيوفهم وقلت: دهيد يا جوانكان فكأنها نار صبت عليهم فانهزموا وحمل رجل على مروان فضربه بسيفه فقتله. وركب عامر بن إسماعيل إلى صالح بن علي فكتب صالح بن علي إلى أمير المؤمنين أبي العباس: أنا اتبعنا عدو الله الجعدي حتى ألجأناه إلى أرض عدو الله شبيهه فرعون فقتلته بأرضه. قال علي: [حدثنا أبو طالب الأنصاري قال:] طعن مروان رجل من أهل البصرة يقال له: المعوّد وهو لا يعرفه فصرعه فصاح صائح صرع أمير المؤمنين وابتدروه فسبق إليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فاحتز رأسه، فبعث عامر بن إسماعيل برأس مروان إلى أبي عون، فبعث بها أبو عون إلى صالح بن علي، وبعث صالح بن علي برأسه مع يزيد بن هانئ

وكان على شرطه إلى أبي العباس يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ١٣٢هـ. ورجع صالح إلى الفسطاط، ثم انصرف إلى الشام فدفع الغنائم إلى أبي عون والسلاح والأموال والرقيق إلى الفضل بن دينار وخلف أبا عون على مصر.

(الطبري ج ٣ ص ٤٤-٥٠)

أبو مسلم الخراساني

علي بن محمد قال: [حدثنا مسلمة بن محارب ومسلم بن المغيرة وسعيد بن أوس وأبو حفص الأزدي والنعمان أبو السري ومحرز بن إبراهيم وغيرهم] أن أبا مسلم كتب إلى أبي العباس يستأذنه في الحج وذلك في سنة ١٣٦هـ وإنما أراد أن يصلي بالناس فأذن له، وكتب أبو العباس إلى أبي جعفر وهو على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان أن أبا مسلم كتب إلي يستأذن في الحج وقد أذنت له، وقد ظننت أنه إذا قدم يريد أن يسألني أن أوليه إقامة الحج للناس فاكتب إليّ تستأذنني في الحج فإنك إذا كنت بمكة لم يطمع أن يتقدمك. فكتب أبو جعفر إلى أبي العباس يستأذنه في الحج فأذن له فوافى الأنبار، فقال أبو مسلم: أما وجد أبو جعفر عاماً يحج فيه غير هذا، واضطغنها عليه.

لما صدر الناس عن الموسم نفر أبو مسلم مثل أبي جعفر فتقدمه فأتاه كتاب بموت أبي العباس واستخلاف أبي جعفر فكتب أبو مسلم إلى أبي جعفر يعزيه بأمير المؤمنين ولم يهنئه بالخلافة ولم يقم حتى يلحقه ولم يرجع، فغضب أبو جعفر فقال لأبي أيوب: اكتب إليه كتاباً غليظاً، فلما أتاه كتاب أبي جعفر كتب إليه بالخلافة. فقال يزيد بن أسيد السلمي لأبي جعفر إني أكره أن تجامعه في

الطريق والناس جنده وهم له أطوع وله أهيب وليس معك أحد، فأخذ برأيه فكان يتأخر ويتقدم أبو مسلم، وأمر أبو جعفر أصحابه فقدموا فاجتمعوا جميعاً وجمع سلاحهم فما كان في عسكره إلا ستة أدرع. فمضى أبو مسلم إلى الأنبار ودعا عيسى بن موسى إلى أن يبايع له فأتى عيسى فقدم أبو جعفر فنزل الكوفة وأتاه أن عبدالله بن علي قد خلع فرجع إلى الأنبار فدعا أبا مسلم فعقد له وقال سر إلى ابن علي.

قال علي: قال مسلم بن المغيرة: كنت مع الحسن بن قحطبة بأرمينية فلما وجه أبو مسلم إلى الشام كتب أبو جعفر إلى الحسن أن يوافيه ويسير معه، فقدمنا على أبي مسلم وهو بالموصل فأقام أياماً فلما أراد أن يسير قلتُ للحسن: أنتم تسيرون إلى القتال وليس بك إلي حاجة فلو أذنت لي فأتيت العراق فأقمت حتى تقدموا إن شاء الله، قال: نعم لكن أعلمني إذا أردت الخروج، قلت: نعم. فلما فرغت وتهيأت أعلمتُه وقلت: أتيتك لأودعك. قال: قف لي بالباب حتى أخرج إليك، فخرجت فوقفت وخرج فقال: إني أريد أن ألقي إليك شيئاً لتبلغه أبا أيوب ولولا ثقتي بك لم أخبرك ولولا مكانك من أبي أيوب لم أخبرك فأبلغ أبا أيوب أني قد ارتبت بأبي مسلم منذ قدمت عليه، إنه يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرأه ثم يلوي شدقه ويرمي بالكتاب إلى أبي نصر فيقرأه ويضحكان استهزاء، قلت: نعم قد فهمتُ، فلقيت أبا أيوب وأنا أرى أن قد أتيته بشيء فضحك وقال: نحن لأبي مسلم أشد تهمة بنا لعبدالله بن علي ألا إنا نرجو واحدة نعلم أن أهل خراسان لا يحبون عبدالله بن علي وقد قتل منهم من قتل، وكان عبدالله بن علي حين خلع خاف أهل خراسان فقتل منهم سبعة عشر ألفاً أمر صاحب شرطة حياش بن حبيب فقتلهم.

قال علي: فذكر أبو حفص الأزدي أن أبا مسلم قاتل عبدالله بن علي فهزمه وجمع ما كان في عسكره من الأموال فصيره في حظيرة وأصاب عيناً ومتاعاً وجواهر كثيراً فكان منثوراً في تلك الحظيرة ووكل بها وبحفظها قائداً من قواده.

ولما انهزم عبدالله بن علي بعث أبو جعفر أبا الخصيب إلى أبي مسلم ليكتب له ما أصاب من الأموال فافترى أبو مسلم على أبي الخصيب وهمَّ بقتله فكُلم فيه وقيل إنما هو رسول فخل سبيله، فرجع إلى أبي جعفر. وجاء القواد إلى أبي مسلم فقالوا: نحن ولينا أمر هذا الرجل وغنمنا عسكره فلم يُسئل عما في أيدينا إنما لأمير المؤمنين من هذا الخمس. فلما قدم أبو الخصيب على أبي جعفر أخبره أن أبا مسلم همَّ بقتله فخاف أن يمضي أبو مسلم إلى خراسان فكتب إليه كتاباً مع يقطين أن قد وليتك مصر والشام فهي خير لك من خراسان فوجه إلى مصر من أحببت وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين فإن أحب لقاءك أتيته من قريب. فلما أتاه الكتاب غضب وقال: هو يوليني الشام ومصر وخراسان لي، واعتزم المضي إلى خراسان، فكتب يقطين إلى أبي جعفر بذلك.

وخرج أبو مسلم يريد خراسان مراغماً مشاقاً، فلما دخل أرض العراق ارتحل المنصور من الأنبار فأقبل حتى نزل المدائن و أخذ أبو مسلم طريق حلوان، فقال رُب أمر لله دون حلوان. وقال أبو جعفر لعيسى بن علي وعيسى بن موسى ومن حضره من بني هاشم اكتبوا إلى أبي مسلم فكتبوا له يعظمون أمره ويشكرون ما كان منه ويسألونه أن يتم على ما كان منه وعليه من الطاعة ويحذرونه عاقبة الغدر ويأمرونه بالرجوع إلى أمير المؤمنين وأن يلتمس رضاه، وبعث بالكتاب أبو جعفر مع أبي حميد المروزي وقال له: كلم أبا مسلم بألين ما تكلم به أحداً ومنّه وأعلمه أني رافعه وصانع به ما لم يصنعه به أحد إن هو صلح

وراجع ما أحب، فإن أبى أن يرجع فقل له يقول لك أمير المؤمنين لست للعباس وأنا بريء من محمد إن مضيت مشاقاً ولم تأتني إن وكلتُ أمرك إلى أحد سواي وإن لم أل طلبك وقتالك بنفسي ولو خضت البحر لخضته ولو اقتحمت النار لاقتحمتها حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك، ولا تقولن له هذا الكلام حتى تيأس من رجوعه، ولا تطمع منه في خير. فسار أبو حميد في ناس من أصحابه ممن يثق بهم حتى قدموا على أبي مسلم بحلوان فدخل أبو حميد وأبو مالك وغيرهما فدفع إليه الكتاب وقال له: إن الناس يبلغونك عن أمير المؤمنين ما لم يقله وخلاف ما عليه رأيه فيك حسداً وبغياً يريدون إزالة النعمة وتغييرها فلا تفسد ما كان منك، وكلمه وقال: يا أبا مسلم إنك لم تزل أمين آل محمد يعرفك بذلك الناس وما ذخر الله لك من الأجر عنده في ذلك أعظم مما أنت فيه من دنياك فلا تحبط أجرك ولا يستهوينك الشيطان. فقال له أبو مسلم: متى كنت تكلمني بهذا الكلام؟ قال: إنك دعوتنا إلى هذا وإلى طاعة أهل بيت النبي ﷺ بني العباس وأمرتنا بقتال من خالف ذلك فدعوتنا من أرضين متفرقة وأسباب مختلفة فجمعنا الله على طاعتهم وألف بين قلوبنا بمحبتهم أعزنا بنصرنا لهم ولم نلق منهم رجلاً إلا بما قذف الله في قلوبنا حتى أتيناهم في بلادهم ببصائر نافذة وطاعة خالصة أفتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهى أملنا أن تفسد أمرنا وتفرق كلمتنا وقد قلت لنا من خالفكم فاقتلوه وإن خالفتكم فاقتلوني. فأقبل على أبي نصر فقال: يا مالك أما تسمع ما يقول لي هذا ما هذا بكلامه يا مالك، قال: لا تسمع كلامه ولا يهولنك هذا منه فلعمري لقد صدقت ما هذا كلامه ولما بعد هذا أشد منه فامض لأمرك ولا ترجع فوالله لئن أتيته ليقتلنك ولقد وقع في نفسه منك شيء لا يأمنك أبداً. فقال: قوموا

فنهضوا، فأرسل أبو مسلم إلى نيزك وقال: يا نيزك إني والله ما رأيت طويلاً أعقل منك فما ترى فقد جاءت هذه الكتب وقد قال القوم ما قالوا، قال لا أرى أن تأتيه وأرى أن تأتي الري فتقيم بها فيصير ما بين خراسان والري لك وهم جندك ما يخالفك أحد فإن استقام لك استقمت له وإن أبى كنت في جندك وكانت خراسان من ورائك ورأيت رأيك. فدعا أبا حميد فقال: ارجع إلى صاحبك فليس من رأي أن آتيه، قال: قد عزمت على خلافه؟ قال: نعم، قال: لا تفعل، قال: ما أريد أن ألقاه. فلما آيسه من الرجوع قال له ما أمره به أبو جعفر فوجم طويلاً ثم قال قم فكسره ذلك القول ورعبه.

وكان أبو جعفر قد كتب إلى أبي داود وهو خليفة أبي مسلم بخراسان حين اتهم أبا مسلم: إن لك إمرة خراسان ما بقيت. فكتب أبو داود إلى أبي مسلم: إنا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيه ﷺ فلا تخالفن إمامك ولا ترجعن إلا بإذنه. فوافاه كتابه على تلك الحال فزاده رعباً وهما، فأرسل إلى أبي حميد وأبي مالك فقال لهما: إني قد كنت معتزماً على المضي إلى خراسان ثم رأيت أن أوجه أبا إسحاق إلى أمير المؤمنين فيأتيني برأيه فإنه ممن أثق به فوجهه. فلما قدم تلقاه بنو هاشم بكل ما يحب وقال له أبو جعفر اصرفه عن وجهه ولك ولاية خراسان وأجازه، فرجع أبو إسحق إلى أبي مسلم فقال له: ما أنكرت شيئاً، رأيتهم معظمين لحقك يرون لك ما يرون لأنفسهم، وأشار عليه أن يرجع إلى أمير المؤمنين فيعتذر إليه مما كان منه، فأجمع على ذلك فقال له نيزك: قد أجمعت على الرجوع، قال: نعم وتمثل:

ما للرجال مع القضاء محالة ذهب القضاء بحيلة الأقوام

فقال: إذا عزمت على هذا فخار الله لك احفظ عني واحدة، إذا دخلت عليه

فاقتله ثم بايع لمن شئت فإن الناس لا يخالفونك. وكتب أبو مسلم إلى أبي جعفر يخبره أنه منصرف إليه.

قال علي عن أبي حفص الأزدي قال: كنت مع أبي مسلم فقدم عليه أبو إسحق من عند أبي جعفر بكتب من بني هاشم وقال: رأيت القوم على غير ما ترى كل القوم يرون لك ما يرون للخليفة ويعرفون ما أبلاهم الله بك. فسار إلى المدائن وخلف أبا نصر في ثقله وقال: أقم حتى يأتيك كتابي، قال: فاجعل بيني وبينك آية أعرف بها كتابك، قال: إن أتاك كتابي مختوماً بنصف خاتم فأنا كتبته وإن أتاك بالخاتم كله فلم أكتبه ولم أختمه. فلما دنا من المدائن تلقاه رجل من قواده فسلم عليه فقال له: أطعني وارجع فإنه إن عاينك قتلك، قال: قد قربت من القوم فأكره أن أرجع. فقدم المدائن في ثلاثة آلاف وخلف الناس بحلوان. فدخل على أبي جعفر فأمره بالانصراف في يومه، وأصبح يريده فتلقاه أبو الخصيب فقال: أمير المؤمنين مشغول فاصبر ساعة حتى تدخل خالياً، فأتى منزل عيسى بن موسى وكان يحب عيسى فدعا له بالغداء. وقال أمير المؤمنين للربيع، وهو يومئذ وصيف يخدم أبا الخصيب: انطلق إلى أبي مسلم ولا يعلم أحد فقل له ما قال لك مرزوق إن أردت أمير المؤمنين خالياً فالعجل. فقام فركب وقال له عيسى لا تعجل بالدخول حتى أحضر أدخل معك فأبطأ عيسى بالوضوء، ومضى أبو مسلم فدخل فقتل قبل أن يجيء عيسى، وجاء عيسى وهو مدرج في عباءة فقال: أين أبو مسلم قال: مدرج في الكساء، قال: إنا لله، قال: اسكت فما تم سلطانك وأمرك إلا اليوم، ثم رمي به في دجلة.

قال علي: قال أبو حفص: دعا أمير المؤمنين عثمان بن نهيك وأربعة من الحرس فقال لهم: إذا ضربت بيدي إحداهما على الأخرى فاضربوا عدو الله.

فدخل عليه أبو مسلم فقال له: أخبرني عن نصلين أصبتهما في متاع عبدالله بن علي، قال: هذا أحدهما الذي علي، قال: أرنيه، فانتضاه فناوله فهزه أبو جعفر ثم وضعه تحت فراشه. وأقبل عليه يعاتبه فقال: أخبرني عن كتابك إلى أبي العباس تنهاه عن الموات أردت أن تعلمنا الدين، قال: ظننت أخذه لا يحل فكتب إلي فلما أتاني كتابه علمت أن أمير المؤمنين وأهل بيته معدن العلم، قال: فأخبرني عن تقدمك إياي في الطريق، قال: كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس فتقدمتك التماس الرفق، قال: فقولك حين أتاك الخبر بموت أبي أبي العباس لمن أشار عليك أن تنصرف إلي تقدّم فنرى من رأينا ومضيت فلا أنت أقمت حتى نلحقك ولا أنت رجعت إلي، قال: منعني من ذلك ما أخبرتك من طلب الرفق بالناس وقلتُ نقدم الكوفة فليس عليه مني خلاف، قال: فجارية عبدالله بن علي أردت أن تتخذها؟ قال: لا! ولكني خفت أن تضيع فحملتُها في قبة ووكلت بها من يحفظها، قال: فمراوغتك وخروجك إلى خراسان؟ قال: خفت أن يكون قد دخلك مني شيء فقلت: آتي خراسان فأكتب إليك بعذري وإلى ذاك ما قد ذهب ما في نفسك علي، قال: تالله ما رأيت كاليوم قط، والله ما ذرتني إلا غضباً، وضرب بيده فخرجوا عليه فضربه عثمان وأصحابه حتى قتلوه.

قال علي: قال يزيد بن أسيد قال أمير المؤمنين: عاتبت عبدالرحمن فقلت: المال الذي جمعته بحران، قال: أنفقته وأعطيته الجند تقوية لهم واستصلاحاً، قلت: فرجوعك إلى خراسان مراغماً، قال: دع هذا فما أصبحتُ أخاف أحداً إلا الله، فغضبت فشتمته فخرجوا فقتلوه.

(الطبري ج ٣ ص ٩٩-١٠٣، ص ١٠٣-١٠٨، ص ١١١-١١٤)